أَهْلُ بَيْتِ النُّبُوَّةِ
مَفْهُومٌ وَمِصْدَاقٌ قُرْآنِيٌّ

م.م. محمد جبار جاسم
كلية القانون - جامعة ميسان

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد:

اختلفت الأمة في تحديد مفهوم ومصداق (أهل البيت) سعةً وضيقاً، فمنهم من يقول إن مفهوم (أهل البيت) شامل لأولاد الأنبياء عليهم السلام وزوجاتهم، ومنهم من يقول إنهم خصوص المطهرين من الرجس وهم أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله من السلالة الذين اصطفاهم الله تعالى من أولادهم عليهم السلام وهم خصوص آل محمد عليهم السلام. فلنسأل القرآن الكريم الثقل الأكبر عن ذلك، ونقول كما قال الله تعالى في كتابه على لسان موسى عليه السلام: ﴿إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾[سورة طه: ١٠].

وقبل سؤال القرآن واستنطاقه لابد لنا من الوقوف على معنى (الأهل) عند اللغويين.

أ. **الأهل لغة:**

١. قال الخليل: ((أهل الرجل: زوجه، وأخص الناس به... وأهل البيت: سكانه))[(١)].

٢. قال الجوهري: ((الأهل: أهل

(١) الفراهيدي، الخليل ابن أحمد، العين، ج٤، ص٨٩.

الرجال، وأهل الدار، وكذلك الأَهْلَةُ))[٢].

٣. قال أبو هلال: ((إن الأهل يكون من جهة النسب والاختصاص فمن جهة النسب قولك أهل الرجل لقرابته الأدنين، ومن جهة الاختصاص قولك أهل البصرة وأهل العلم))[٣].

٤. قال الراغب الاصفهاني: ((أهل: أهل الرجل من يجمعه وإياهم نسب أو دين أو ما يجرى مجراهما من صناعة وبيت وبلد، فأهل الرجل في الأصل من يجمعه وإياهم مسكن واحد ثم تجوز به فقيل أهل بيت الرجل لمن يجمعه وإياهم نسب، وتعورف في أسرة النبي عليه الصلاة والسلام مطلقا إذا قيل أهل البيت لقوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ وعبر بأهل الرجل عن امرأته))[٤].

٥. قال الطريحي: ((أهل الرجل: آله. وهم أشياعه وأتباعه وأهل ملته. ثم كثر استعمال الأهل والآل حتى سمي بهما أهل بيت الرجل لأنهم أكثر من يتبعه. وأهل كل نبي: أمته. قيل ومنه قوله تعالى ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾، وقد مر في (أمر): أنهم أهل بيته خاصة. وفلان أهل لكذا أو يستأهل لكذا أي حقيق به. وأهل البيت: سكانه))[٥].

الخلاصة:

يظهر مما تقدم أن مفهوم الأهل عند اللغويين مفهوم عام يدخل فيه أهل الرجل وخاصته كالزوجة والابن والبنت والذين في عياله وكل من دخل في نفقته وذوو قرباه بل حتى العشيرة تدخل فيه.

ب. الأهل في الاصطلاح القرآني:

الأهل حسب المفهوم القرآني اما ان يكون له معنى عام او اخص بمعنى

(٢) الجوهري، الصحاح، ج٤، ص١٦٢٩.
(٣) العسكري، أبو هلال، معجم الفروق اللغوية، ص٨٤.
(٤) الراغب الاصفهاني، الحسين ابن محمد، المفردات في غريب القرآن، ص٢٩-٩٦.
(٥) الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، ج٥، ص٣١٤.

(أخص الناس به) وهذا ما نريد الوقوف عليه هنا.

فمن وجهة نظر القرآن أن المراد من (الأهل) هو المعنى الخاص وذلك ما أشارت إليه عدة آيات قرآنية التي منها:

١. قال تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴾ [سورة هود: ٤٥]، فالصريح من هذه الآية أن نبي الله نوح عليه السلام كان يعتقد أن ابنه من أهله؛ وسبب هذا الاعتقاد اما ان يكون ناشئا من جهة النسب وهو ابنه من صلبه والآية ترفضه؛ لأنها نفت ان يكون من الأهل ولم تنفِ انه ليس بابن، أو اعتماداً على المعنى اللغوي والعرفي وهو بعيد عنه عليه السلام؛ لأنه سيد العارفين باللغة والعرف في ذلك الزمان او ان الله تعالى وعد نوحاً عليه السلام بأهل بيته خيرا. وعلى هذا الاساس كان عنده عليه السلام غموض في ذلك الجانب أي انه يعلم معنى الأهل (المفهوم التشريعي) ولكنه عليه السلام لا يعلم مصداقه. والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [سورة هود: ٤٦] فهذه الآية تبين انه -أي ولد نوح عليه السلام- ليس من أهله؛ لان الآية صريحة في نفي العلم عنه عليه السلام بالمصداق وهو ابن نوح عليه السلام بل تثبت تحديد المصداق لله سبحانه وتعالى. وبناءً على ذلك فان إخراج الولد من الاهل يكشف لنا أن مفهوم (الأهل) ومصداقه له معنى آخر لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى وحده.

نستنتج من الآية السابقة أن تحديد مصداق أهل النبي قضية إلهية ولا يمكن لأحد أن يحددها. وعلى هذا الأساس تكون سنة منحصرة بيد الله تعالى وإنها سنة الإلهية، لا عرفية، ولا لغوية، ولا صلبية. والدليل عليه التوكيد الصريح بالموعظة في قوله تعالى: ﴿ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾. فلو كانت المسألة عرفية أو لغوية أو نسبية، لكان نوح عليه السلام اعرف أهل زمانه بها ولَما كانت هناك

حاجة أصلا للوعظ في هذه الآية. مما يدل على أن هناك مقياساً وضابطةً إلهية لأهل الأنبياءعليهم السلام في القرآن.

٢. قال الله تعالى في كتابه العزيز على لسان موسىعليه السلام: ﴿ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ﴾ [سورة طه: ٢٩-٣٠]. ففي هاتين الآيتين تصريح بإدخال الأخ في مفهوم الأهل وهذا يكشف عن مفهوم خاص لمعنى الأهل، إذ كان موسىعليه السلام يعلم ان هارونعليه السلام من المصاديق الخاصة للأهل وهو مرتبط بمسألة الخلافة عند الله تبارك وتعالى[٦] والآيتان ﴿ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴾ [سورة طه: ٣١-٣٢] تشيران إلى ذلك. فحينما طلب موسى عليه السلام الوزارة لأخيه هارون -الذي هو من أهله- لم يُرفض، بل استجاب الله تعالى له فقال: ﴿ قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ [سورة طه: ٣٦]. ﴿ قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا فَٱسۡتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [سورة يونس: ٨٩] بخلاف ابن نوحعليه السلام الذي أخرجه الله تعالى من مفهوم الأهل ونهى نوحاً أن يسأله عن ذلك.

ومن هنا يبدو أن موسىعليه السلام اعلم بالمصداق الحقيقي للأهل من نبي الله نوحعليه السلام. فإدخال الاخ في مفهوم الاهل من خلال طلب موسىعليه السلام ﴿ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴾ يكشف لنا أن مفهوم (الأهل) سنة إلهية منحصرة بيد الله تعالى. ويكشف لنا أيضاً أن خلافة الله لابد أن تكون من اهل بيت النبي وهو صريح من قول موسىعليه السلام: {مِنْ أَهْلِي} ويظهر مما تقدم أن مفهوم أهل النبي سنة إلهية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالخلافة الإلهية.

٣. قال تعالى: ﴿ وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴾ [سورة العنكبوت: ٣٣]. تبين هذه الآية الكريمة نقطتين اساسيتين:

(٦) ينظر: محمد جبار جاسم، سنة الخلافة والإمامة في القران الكريم، مجلة المصباح، العدد ١٦، ص٢٩٩.

الأولى: تصرح بأن الزوجة استثنيت من الأهل بسبب عملها المخالف للعقيدة الإلهية كما استثنيت من النجاة أيضا، فالاستثناء الذي ورد في الآية قد أخرج زوجة النبي لوط عليه السلام من مفهوم الأهل.

الثانية: وتدل أيضاً على دخول البنت في مفهوم الأهل؛ لأن المراد من (اهلك) في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ ﴾[سورة العنكبوت: ٣٣] هما ابنتا لوط عليه السلام[٧]، وهذه الآية. ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِيٓ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾ [سورة هود: ٧٨] تشير الى ذلك.

وكذا القول في قوله تعالى ﴿ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾[سورة هود: ٨١]. وكذا القول في قوله تعالى ﴿ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ [سورة العنكبوت: ٣٢]. وقوله تعالى: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ [سورة النمل: ٥٧].

وكذلك اخرج امرأة نوح عليه السلام من الأهل لوحدة المصير بينها وبين زوجة لوط عليه السلام في هذه الآية حيث قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾ [سورة التحريم: ١٠] وقد صرحت الآية بان السبب الحقيقي للإخراج من الاهل هو الخيانة. وهنا قد تُثار شبهة وهي: ما نوع الخيانة الواردة في هذه الآية؟. وفي الجواب عن هذه الشبهة يُحتمل للخيانة وجهان:

الأول: إن المراد من الخيانة في الآية هي الخيانة العقائدية.

الثاني: إن المراد من الخيانة في الآية

(٧) ينظر: ابن ابي شيبه الكوفي، المصنف، ج٧، ص٤٥. تفسير أبي الشمالي، ص٢٠٢. الطبرسي، مجمع البيان، ج٩، ص٢٦٣، وغيرها من التفاسير.

المباركة البغاء.

وفيما يلي مناقشة لهذين الاحتمالين واختيار ما يصح منهما:

مناقشة الاحتمال الأول:

إن التصريح بضرب المثل من الله تعالى في الآية يدل على معنيين:

أ. الاشارة الى القانون او السنة التي يريد الله بيانها.

ب. الإشارة إلى نوع هذا المثل. وهو التخصص بالكفر والإيمان الذي يتناسب مع الخيانة العقائدية فقط، وهذا ما دلت عليه قرينة المقابلة بين الكفر، في قوله تعالى ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ﴾ [سورة التحريم: ١٠]، والايمان في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ سورة التحريم: ١١]. وهذا تصريح بان الخيانة الواردة في الآية موضع البحث هي خيانة عقائدية، ومن هنا يتضح أن السبب في خروج ابن نبي الله نوح عليه السلام من الاهل هو لأجل الأمر الاعتقادي المجانب للحق. وعليه إن الميزان الحقيقي للدخول في مفهوم الأهل هو الاعتقاد الصحيح.

مناقشة الاحتمال الثاني:

مسألة بغاء زوجات الأنبياء عليهم السلام تتنافى مع مضمون القرآن الكريم فلو اعتمدنا منهج تفسير القرآن بالقرآن، واخذنا الآية من قوله تعالى ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ [سورة التحريم: ١٠] وضممنا اليها اية الافك قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة النور: ١١] لأنحصر معنى (الخيانة) في الاحتمال الأول دون الثاني؛ لأن آية الإفك تبرئ نساء النبي محمد صلى الله عليه وآله من البغاء، وسبب نزول آية الإفك يؤكد هذه الحقيقة. فقد برأ القرآن الكريم زوجة النبي صلى الله عليه وآله عائشة

فقد ذكر الطوسي بسنده عن الزهري في سبب النزول، وقال: ((وكان سبب الافك ان عائشة ضاع عقدها في غزوة بني المصطلق، وكانت تباعدت لقضاء الحاجة، فرجعت تطلبه، وحمل هودجها على بعيرها ظنا منهم بها أنها فيه، فلما صارت إلى الموضع وجدتهم قد رحلوا عنه، وكان صفوان ابن معطل السلمي الذكواني من وراء الجيش فمر بها، فلما عرفها أناخ بعيره حتى ركبته، وهو يسوقه حتى أتى الجيش بعد ما نزلوا في قائم الظهيرة))[٨].

الخلاصة:

يتضح مما تقدم عدة امور:

١. ان مفهوم اهل الانبياء عليهم السلام وخاصتهم سنة إلهية تحديد مصداقها منحصر بيدا الله تعالى وهي مرتبطةٌ ارتباطاً وثيقاً بالخلافة الإلهية. وهي ليست من العموم الذي يمكن أن يخصص بل هي سنة الهية لا تقبل العموم حتى يرد فيها الخاص.

٢. ان مسألة الخيانة من وجهة نظر القرآن التي تجوز على نساء الأنبياء عليهم السلام هي الخيانة في الاعتقاد حصراً دون غيرها.

٣. ان مسألة البغاء لا تجوز على نساء الانبياء عليهم السلام، بل تعد طعناً بهم عليهم السلام، فكل رواية تثبت عكس ذلك وتتهم عرض الانبياء عليهم السلام فهي موضوعة حتما؛ لأنها تخالف القرآن الكريم. والسنة الشريفة تعضد ذلك روى ابن عساكر عن ابن إسحاق عن سفيان الثوري عن أشرس الخراساني يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: ((ما بغت امرأة نبي قط))[٩] وان كان مرفوعا لكنه يشير الى موافقته لكتاب الله تعالى والحديث نفسه يرويه أيضاً

(٨) الطوسي، محمد ابن الحسن، التبيان، ج٧، ص٤١٥، ينظر، الطبرسي، مجمع البيان، ج٧، ص٢٢٨، الطبري، جامع البيان، ج١٨، ص١١٣، الطباطبائي، الميزان، ج١٥، ص٨٩، وغيرها من المصادر. اجمع عامة علماء الاسلام ان عرض النبي صلى الله عليه وآله وسائر الأنبياء عليهم السلام مصان من البغاء.

(٩) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٥٠، ص٣١٨.

الصنعاني بسنده عن ابن عباس[١٠].

اما كلمة (قط) التي تفيد النفي في الحديث فإنها تدل على وجود سنة تنافي العموم والخصوص.

٤. إن مسألة تحديد مصداق السنة الالهية للدخول في مفهوم الاهل وان كانت من مختصاته سبحانه لكنها تتوقف على اهم اركانها وهو الاعتقاد الصحيح والثبات على دين الله تعالى.

٥. يستفاد من الاصل القرآني في مفهوم الاهل رفض كل رواية وحديث لا ينسجم معه.

أهل بيت النبي الخاتمﷺ وخاصته:

خاتمية الرسل تحققت بأشرف وافضل رسل الله تعالى وهو النبي محمدﷺ فمن المؤكد أن يكون اهل بيته افضل واشرف من اهل بيت كل نبي.

وعلى هذا الاساس يتبادر إلى الذهن السؤال الآتي وهو: مَنْ هم أهل بيت سيد المرسلينﷺ وخاصته؟. وهل أشار القرآن إلى هذا الأمر؟.

وفي صدد الإجابة عن هذا السؤال نذكر عدة أراء[١١] في بيان المقصود من أهل بيت النبيﷺ:

١. إن المراد بأهل البيت في آية التطهير خصوص نساء النبيﷺ وهو قول عكرمة.

٢. ان المراد من أهل بيت النبيﷺ أصحاب الكساء وهم (علي، وفاطمة، والحسن والحسينعليهم السلام) فضلا عن زوجات النبي. وهو رأي مردود بالحجة نفسها كما في الرأي الأول.

٣. إن المراد من أهل بيت النبيﷺ هم خصوص (علي، وفاطمة، والحسن والحسين). فكل من الرأي الأول والرأي الثاني ينافي الأصل القرآني الذي اسسناه في ما تقدم من البحث المتمثل بان أهل النبيﷺ سنة إلهية خارجة عن نطاق التحديد البشري. ولم يبقَ لنا إلا الرأي الثالث الذي

(١٠) الصنعاني، عبد الرزاق، تفسير القرآن، ج٢، ص٣١١.

(١١) ينظر: العاملي، جعفر مرتضى، أهل البيت في آية التطهير، ص٢١ -٢٢.

سنقيم عليه الدليل عند تتبع مفردة (أهل البيت) في القرآن أولاً، ومن ثمَّ في الحديث ثانياً.

أولا: مفردة اهل البيت في القرآن الكريم:

وردت مفردة أهل البيت ثلاث مرات في القرآن الكريم:

الأولى: في قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴾ [سورة هود: ٧٣]، وفي هذه الآية تحديد لمصداق أهل بيت النبي إبراهيم عليه السلام إذ عبر القرآن الكريم بأهل البيت بعد أن جاءت الملائكة بالبشرى لإبراهيم عليه السلام وزوجته سارة حامل بإسحاق عليه السلام وهذا واضح من السياق القرآني في هذه الآية مما يدل على أن الزوجة تدخل في مفهوم الاهل فكانت سارة زوجة إبراهيم عليه السلام داخلة فيه كما دخل إبراهيم وإسحاق عليهما السلام.

الثانية: قوله تعالى: ﴿ وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ مِن قَبۡلُ فَقَالَتۡ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٖ يَكۡفُلُونَهُۥ لَكُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴾ [سورة القصص: ١٢]. والمراد من هذه الآية ان لنبي الله موسى عليه السلام أهل بيت يحسنون تربيته وهم خاصته كأمه وأخيه هارون وأخته عليهم السلام. وهذا واضح من قوله تعالى: ﴿ فَرَدَدۡنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَ وَلِتَعۡلَمَ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [سورة القصص: ١٣]. حيث حرم الله على موسى عليه السلام المراضع دون امه، قال الطباطبائي: ((التحريم في الآية تكويني لا تشريعي ومعناه جعله بحيث لا يقبل ثدي مرضع ويمتنع من ارتضاعها))[١٢]. وهذا صريح من قوله تعالى: ﴿ وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ مِن قَبۡلُ ﴾[سورة القصص: ١٢]. وتحريم المراضع دليل على أن المراد من (أهل بيته) هم خاصته. وقال أيضا: ((إن السياق يدل على أن هناك حذفا كأنه قيل: وحرمنا عليه المراضع غير أمه من قبل أن تجئ أخته فكلما أتوا له بمرضع لترضعه لم يقبل ثديها فلما جاءت أخته

(١٢) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان. ج١٦، ص١٣.

ورأت الحال قالت عند ذلك لفرعون: هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لنفعكم وهم له ناصحون؟.))[١٣].

الثالثة: قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [سورة الأحزاب: ٣٣]. ذكرت هذه الآية المباركة مفردة اخرى لأهل البيت، وفي هذه المرة خاصة بالنبي محمدﷺ، ولكنها بخصوصية زائدة وهي التطهير من الرجس وهي اعلى مراتب التطهير التي تدل على العصمة، ولو ضممنا إليها الآيات من قوله تعالى ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ (٧٨) لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [سورة الواقعة: ٧٧ -٧٩]. لتبين أن المراد من الطهارة في هذه الآية المادية والمعنوية ولا تعارض بينهما؛ لأن الطهارة المادية تؤثر على الطهارة المعنوية لفهم حقائق القرآن الكريم، وتعد طهارة النبيﷺ وأهل البيتعليهم السلام الأعلى على الاطلاق بين البشر، وفي هذا السياق قال صاحب الأمثل: ((ومما لا شك فيه أن شخص الرسولﷺ والأئمة المعصومينعليهم السلام والملائكة المقربين هم أوضح مصداق للمقربين الذين أدركوا حقائق القرآن الكريم بصورة متميزة عن الجميع))[١٤].

مما تقدم نعلم أن إدراك معاني القرآن وفهمها بشكلها الأكمل التام منحصر بالنبيﷺ وأهل بيتهعليهم السلام، وإذا ضممنا إليها الأصل القرآني المتقدم والمتمثل بأن أهل الأنبياءعليهم السلام في مفهومه ومصداقه سنة إلهية وحقيقة قرآنية تبين لنا معنى محدد ومعين لأهل البيت.

وعلى هذا الأساس فأهل البيت مجموعة محددة وخاصة من أهل بيت النبيﷺ والأداة {إِنَّمَا} تفيد حصر التطهير بأهل بيت النبيﷺ بشكل خاص كما أن تحديد هذا المفهوم وتعيين مصداقه بيد الله تعالى.

المصداق القرآني لأهل البيت:

فهل بين لنا القرآن من هم أهل

(١٣) المصدر نفسه.

(١٤) الشيرازي، ناصر مكارم، الامثل، ج١٧، ص٥٠٢.

بيت النبي ﷺ؟.

في ضوء المنهج الأثري واقصد تفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالسنة نستبين الإجابة عن السؤال السابق فآية المباهلة شاهدة على هذه الحقيقة، قال الله تعالى: ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾[سورة آل عمران: ٦١]، واذا ضممنا اليها اية التطهير قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [سورة الأحزاب: ٣٣] يظهر المصداق الحقيقي لأهل البيت وهم خاصة النبي ﷺ المطهرون من الرجس.

وقصة نزول هذه الآية هي: أن النبي ﷺ خرج لمباهلة نصارى نجران لإثبات دعوته الحقة واخرج معه خاصته من اهل بيته دون غيرهم من سائر نسائه وهذا يبين لنا أن الامر من الله تعالى بإخراج هؤلاء الخاصة الذين تتوقف عليهم دعوة صدق النبوة بالمباهلة، وهم المصداق الحقيقي لأهل بيت النبي ﷺ، وهم (علي، وفاطمة، والحسن والحسين عليهم السلام). قال الترمذي في تفسير اية المباهلة: ((دعا رسول الله ﷺ عليا وفاطمة وحسنا وحسينا، فقال: اللهم هؤلاء أهلي))[١٥]، وقال أخر: ((ويروي أصحاب التفسير بالمأثور. إن رؤساء النصارى قالوا لبعضهم بعد أن اتفقوا على موعد المباهلة: إن باهلنا بقومه باهلناه. فإنه ليس نبياً. وإن باهلنا بأهل بيته خاصة لم نباهله. فإنه لا يقدم إلى أهل بيته إلا وهو صادق))[١٦]. وهذا المعنى متواتر في الاخبار، فقد قال الحاكم: ((وقد تواترت الاخبار في التفاسير عن عبد الله بن عباس وغيره أن رسول الله ﷺ أخذ يوم المباهلة بيد علي وحسن وحسين وجعلوا فاطمة وراءهم ثم قال هؤلاء أبناؤنا وأنفسنا ونساؤنا فهلموا أنفسكم وأبناءكم

(١٥) الترمذي، سنن الترمذي، ج٤، ص٢٩٣-٢٩٤، ج٥، ص ٣٠٢.

(١٦) سعيد أيوب، معالم الفتن، ج١، ص١٠١.

ونساءكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين))[١٧]. وعليه فهذه الآيات تكشف لنا المصداق الحقيقي للأهل في القرآن الكريم. فتخصيص الأهل وأهل البيت سنة منحصرة بيده تعالى، وهو حق ثابت له سبحانه وتعالى من دون خلقه كما بينا سابقاً. وليس للأنبياءعليهم السلام حق في تحديد ذلك المصداق وإدخال من يريدون من ذريتهم. فقول إبراهيمعليه السلام يدل على ذلك: ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٢٤]. وعليه فإذا كان ابن نوحعليه السلام لا يعد ولا يدخل في الأهل بحسب التعبير القرآني وهو ينتسب إلى سلالة الأنبياءعليهم السلام فعدم دخول غيره من النساء والرجال الذين لا ينتمون إلى النسب يكون من باب الأولى. فهذه بعض نساء الأنبياء لم يدخلها القرآن في الأهل كما في قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ [سورة التحريم: ١٠].

ثانيا: المصداق الروائي لمعنى أهل البيت:

والسنة موافقة للأصل القرآني، إذ قال الطحاوي بسنده عن فهد، حدثنا أبو غسان، حدثنا فضيل بن مرزوق، عن عطية، عن أبي سعيد، عن أم سلمة: ((قالت: نزلت هذه الآية في بيتي: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، فقلت: يا رسول الله، ألستُ من أهل البيت؟. فقال: أنت على خير إنك من أزواج النبيصلى الله عليه وآله وفي البيت علي، وفاطمة، والحسن، والحسين))[١٨]. فالصريح من الرواية أن أم سلمة زوجة النبيصلى الله عليه وآله ليست من أهل البيتعليهم السلام.

وقال الطبراني بسنده عن شهر بن

(١٧) الحاكم النيسابوري، معرفة علوم الحديث، ص٥٠.

(١٨) الطحاوي، أحمد ابن محمد ابن سلامة، مشكل الآثار، ج٢، ص٢٦٥. مصدر الكتاب: موقع جامع الحديث/ http://www. alsunnah. com/الكتاب مرقم آليا غير موافق للمطبوع].

حوشب قال: ((سمعت أم سلمة تقول: جاءت فاطمة عدية بثريد لها تحملها في طبق لها حتى وضعتها بين يديه فقال لها: وأين ابن عمك؟. قالت: هو في البيت قال: اذهبي فادعيه وأتيني بابني فجاءت تقود ابنيها كل واحد منهم في يد وعلي يمشي في أثرهما حتى دخلوا على رسول الله ﷺ فأجلسهما في حجره وجلس علي عن يمينه وجلست فاطمة رضي الله عنها في يساره قالت أم سلمة: فأخذت من تحتي كساء كان بساطنا على المنامة في البيت ببرمة فيها خزيرة فقال لها النبي: ادعي لي بعلك وابنيك الحسن و الحسين فدعتهم فجلسوا جميعا يأكلون من تلك البرمة قالت: وأنا أصلي في تلك الحجرة فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [سورة الأحزاب: ٣٣]. فأخذ فضل الكساء فغشاهم ثم أخرج يده اليمنى من الكساء وألوى بها إلى السماء ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت أم سلمة: فأدخلت رأسي البيت فقلت: يا رسول الله وأنا معكم؟. قال: أنت على خير مرتين))[١٩].

وروى الصدوق بسنده عن أبي بصير عن الصادق عليه السلام: ((قال: قلت لأبي عبد الله: من آل محمد؟. قال عليه السلام: ذريته. فقلت: من أهل بيته؟. قال عليه السلام: الأئمة الأوصياء. قلت: من عترته. قال عليه السلام: أصحاب العباء. فقلت: من أمته؟. قال عليه السلام: المؤمنون الذين صدقوا بما جاء به من عند الله عز وجل المتمسكون بالثقلين اللذين أمروا بالتمسك بهما: كتاب الله وعترته أهل بيته، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وهما الخليفتان على الأمة بعد رسول الله ﷺ))[٢٠].

وإتماماً للفائدة نذكر هنا المناظرة التي جرت بين الإمام الرضا عليه السلام من جهة والمأمون وعلمائه من جهة أخرى.

(١٩) الطبراني، سليمان ابن احمد، المعجم الكبير، ج٣، ص٥٣ - ٥٤.

(٢٠) الصدوق، محمد ابن علي ابن الحسين، معاني الاخبار، ص٩٤.

قال الصدوق في أماليه بسنده عن الريان ابن الصلت انه قال: ((حضر الرضاعليه السلام مجلس المأمون بمرو، وقد اجتمع في مجلسه جماعة من علماء أهل العراق وخراسان، فقال المأمون: أخبروني عن معنى هذه الآية ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [سورة فاطر: ٣٢]. فقالت العلماء: أراد الله عز وجل بذلك الأمة كلها. فقال المأمون: ما تقول، يا أبا الحسن؟. فقال الرضاعليه السلام: لا أقول كما قالوا، ولكني أقول: أراد الله العترة الطاهرة. فقال المأمون: وكيف عنى العترة من دون الأمة؟. فقال له الرضاعليه السلام: إنه لو أراد الأمة لكانت بأجمعها في الجنة، لقول الله تبارك وتعالى: ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾[سورة فاطر: ٣٢]. ثم جمعهم كلهم في الجنة فقال: ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ ﴾[سورة فاطر: ٣٣]. فصارت الوراثة للعترة الطاهرة لا لغيرهم. فقال المأمون: من العترة؟. فقال الرضاعليه السلام: الذين وصفهم الله في كتابه، فقال عز وجل ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[سورة الأحزاب: ٣٣]، وهم الذين قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: إني مخلف فيكم الثقلين، كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، أيها الناس لا تُعلِّموهم فإنهم أعلم منكم. قالت العلماء: أخبرنا -يا أبا الحسن -عن العترة، أهم الآل، أو غير الآل؟. فقال الرضاعليه السلام: هم الآل. فقال العلماء: فهذا رسول اللهصلى الله عليه وآله يؤثر عنه أنه قال: أمتي آلي. وهؤلاء أصحابه يقولون بالخبر المستفاض الذي لا يمكن دفعه: آل محمد أمته. فقال أبو الحسنعليه السلام: أخبروني هل تحرم الصدقة على الآل؟. قالوا: نعم. قال: فتحرم على الأمة؟. قالوا: لا. قال: هذا فرق ما بين الآل والأمة، ويحكم أين يذهب بكم، أضربتم عن الذكر صفحا، أم أنتم قوم مسرفون!. أما علمتم أنه

وقعت الوارثة والطهارة على المصطفين المهتدين دون سائرهم؟. قالوا: ومن أين يا أبا الحسن؟. قال: من قول الله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [سورة الحديد: ٢٦]. فصارت وارثة النبوة والكتاب للمهتدين دون الفاسقين،..)) [٢١].

الخاتمة:

يتضح مما تقدم عدة امور:

١. ان اختيار المصداق الحقيقي لأهل بيت النبيﷺ، أمر مرجعه إلى الله تعالى حصراً دون غيره، وعلى هذا الاساس يقطع القرآن الكريم النزاع والاختلاف في ذلك ولا يجوز لأحد حتى النبيﷺ نفسه أن يُدخل من يشاء في مفهوم أهله.

٢. إن أهل بيت النبيﷺ هم خاصته واقرب الناس به وهم: (علي، وفاطمة والحسن والحسينعليهم السلام) دون غيرهم. واما العترة فهم آله وهم الذين اورثهم الله الكتاب وحديث الثقلين يشهد بذلك.

٣. كل رواية او حديث يتطابق مع الأصل القرآني في مفهوم أهل البيتعليهم السلام ومصداقه فهو صحيح وان كان ضعيف السند؛ لأن القرآن حاكم على السنة.

٤. زوجات النبيﷺ غير داخلات في مفهوم أهل البيتعليهم السلام ومصداقه بحسب المفهوم القرآني.

والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

١. ابن أبي شيبة الكوفي، عبد الله بن محمد، المصنف، تحقيق وتعليق: سعيد اللحام، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع –بيروت– لبنان، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: جماد الآخرة ١٤٠٩ –١٩٨٩ م.

٢. سسابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: علي شيري، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع–

(٢١) الصدوق، محمد ابن علي ابن الحسين، الامالي، ص٦١٥ –٦١٦.

بيروت –لبنان، المطبعة: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع–بيروت– لبنان، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٥.

٣. ابن فارس، احمد ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، (د. ط)، سنة الطبع: ١٣٩٩هـ– ١٩٧٩م.

٤. الترمذي، للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، سنن الترمذي، تحقيق وتصحيح عبد الرحمن محمد عثمان، الناشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع –بيروت– لبنان، سنة الطبع ١٤٠٣ –١٩٨٣ م، الطبعة الثانية.

٥. الجوهري، محمد، الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، الناشر: دار الملايين –بيروت لبنان، الطبعة: الرابعة، سنة الطبع: ١٤٠٧– ١٩٨٧م.

٦. الحاكم النيسابوري، محمد ابن عبد الله، معرفة علوم الحديث، ، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديد، الناشر: منشورات دار الآفاق الحديث –بيروت، سنة الطبع: ١٤٠٠ –١٩٨٠ م، الطبعة: الرابعة.

٧. الحلواني، الحسين بن محمد بن الحسن، نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، الناشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام– قم المقدسة، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٠٨.

٨. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، الناشر: دفتر نشر الكتاب، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٠٤.

٩. سعيد أيوب، معالم الفتن، الناشر: مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، المطبعة: سپهر الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٦.

١٠. الشيرازي، ناصر مكارم، تفسير الأمثل.

١١. الصدوق، محمد ابن علي ابن الحسين ابن بابويه القمي، الامالي، تحقيق:

قسم الدراسات الإسلامية- مؤسسة البعثة -قم، الناشر: مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٧.

١٢. الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، معاني الأخبار، تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، سنة الطبع: ١٣٧٩- ١٣٣٨ ش.

١٣. الصنعاني، عبد الرزاق، تفسير القرآن، تحقيق: الدكتور مصطفى مسلم محمد، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع الرياض -المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٠ -١٩٨٩ م.

١٤. الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان، الناشر: منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية -قم المقدسة.

١٥. الطبراني، المعجم الكبير، سليمان ابن أحمد، تحقيق: تحقيق وتخريج: حمدي عبد المجيد السلفي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الثانية، مزيدة ومنقحة، سنة الطبع: ١٤٠٦ -١٩٨٥ م.

١٦. الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق: تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي، المطبعة: مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: رمضان المبارك ١٤٠٩.

١٧. العاملي، جعفر مرتضى، أهل البيت في آية التطهير، المركز الإسلامي للدراسات -بيروت -لبنان، المطبعة: المركز الإسلامي للدراسات، الطبعة: الثانية مزيده و منقحة، سنة الطبع: ١٤٢٣- ٢٠٠٣ م.

١٨. العسكري، أبي هلال، معجم الفروق اللغوية، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة

النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: شوال المكرم ١٤١٢ ابن فارس، احمد ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، (د. ط)، سنة الطبع: ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

١٩. محمد جبار جاسم، سنة الخلافة والإمامة في القران الكريم، الناشر: مجلة المصباح الصادرة عن العتبة الحسينية، العدد ١٦، سنة الطبع: ٢٠١٤م.